الا عباد اهل المسجد قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظروا الى مجتهديهم قد شدوا
انفسهم بالسلاسل الى اطراف بيت المقدس فهاله ذلك فرجع الى ابويه فمر بصبيان يلعبون
فقالوا له يا يحيى هلم الينا نلعب فقال اني لم اخلق للعب قال ابن عمر فاتى ابويه فسألهما ان يدرعاه
الشعر ففعلا فرجع الى بيت المقدس وكان يخدمه نهارا ويقوم فيه ليلا حتى اتت عليه
خمس عشرة سنة فخرج ولزم اطراف الارض وغيران الشعاب فخرج ابواه في طلبه فادركاه
على بحيرة الاردن وقد انقع رجليه في الماء وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك
وجلالك لا اذوق بارد الشراب حتى اعلم اين مكاني منك فسأله ابواه ان يفطر على قرص
كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه فمدح بالبر ورده ابواه
الى بيت المقدس فكان اذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والحجر والمدر ويبكي زكريا
لبكائه حتى يغمى عليه فلم يزل يبكي حتى احرقت الدموع لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين
فقالت له امه يا بني لو اذنت لي ان اتخذ لك شيئا يواري اضراسك عن الناظرين
فاذن لها فعمدت الى قطعتي لبد فالصقتهما على خديه فكان اذا قام يصلي بكى فاذا
استنقعت دموعه في القطعتين اتت عليه امه فعصرتهما فاذا رأى دموعه تسيل
على ذراعي امه قال اللهم هذه دموعي وهذه امي وانا عبدك وانت ارحم الراحمين فقال
له زكريا يا بني انما سألت ربي ان يهبك لتقر عيناي فقال يحيى يا ابه ان جبريل اخبرني
ان بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكاء فقال زكريا فابك يا بني وقال عيسى
خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا بحق
اقول لكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل وكان الخليل
اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فيأتيه جبريل فيقول له

الجبار يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فيقول يا جبريل اذا
ذكرت خطيئتي نسيت خلتي هذه احوال الانبياء فتأمل فيها فانهم اعرف خلق
الله بالله وصفاته ولقد روي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه رأى طائرا فقال ليتني مثلك يا طائر
ولم اخلق بشرا وكان يقول ابو ذر لوددت اني شجرة تعضد وكان يقول عثمان
وددت اني مت لم ابعث وكان تقول عائشة وددت اني كنت نسيا منسيا وكان
عمر يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه وكان يعاد اياما واخذ
يوما تبنة من الارض فقال يا ليتني كنت هذه التبنة ولم اك شيئا مذكورا يا ليتني
لم تلدني امي يا ليتني كنت نسيا منسيا وكان في وجه عمر خطان اسودان من
الدموع ولما قرأ عمر اذا الشمس كورت فانتهى الى قوله واذا الصحف نشرت خر
مغشيا عليه ومر عمر يوما بدار انسان وهو يقرأ والطور فوقف يستمع فلما بلغ
قوله ان عذاب ربك لواقع نزل عن حماره واستند الى حائط فمكث زمانا ورجع
الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه قال علي فقد سلم من صلوة
الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده ويقول لقد رأيت اصحاب محمد صلعم فلم ار اليوم
شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا بين اعينهم امثال ركب المعزى
قد باتوا سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم واقدامهم فاذا
اصبحوا فذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم الدموع
حتى تبل ثيابهم والله كان القوم باتوا غافلين ثم قام فما رؤي بعد ذلك ضاحكا
حتى ضربه ابن ملجم وقال عمران بن الحصين لوددت اني كنت رمادا تسفني
الرياح في يوم عاصف وكان علي بن الحسين اذا توضأ اصفر لونه فيقول له اهله